تنبيــه

الارقام التي سترد تارة، وهي بين حاصرتين [ ] ابتداء من صفحة 65 تشير لرقم ورقات المخطوط في الأصل، وقد نحيل عليها في التعاليق.

[2] بسم الله الرّحمن الرّحيم صلّى الله على محمّد وآله

(منازلة ابن مردنيش لمدينة جيان ومحاصرته لقرطبة سنة 554)

وفي هذه السنة وهي سنة أربع وخمسين وخمسمائة خرج محمد بن سعد بن مردنيش[1] من مدينة مرسية [2] بعسكره ومع أصحابه النصارى أهلكهم الله بجيشه المفسد منتهزاً الفرصة في ظنه ومتخيلاً بما أفسدته الخمر من ذهنه، أنه بمغيب[3] أمير المؤمنين يتغلب على الموحدين ـ أعانهم الله ـ بجزيرة

(1) أحد الثائرين الذين ظهروا بالأندلس في أعقاب دولة المرابطين ممن لم يترددوا في طلب العون من المسيحيين ضد الموحدين، وقد أنكر بعض الباحثين نسبه في العرب وأرجعوه لأصل اسباني ذاكرين أن جده الأعلى (مردنيش) محرف عن Martinez وتسميه المراجع النصرانية بالملك لوبو El Rey Lobo وقد منحه البابا لقب (صاحب الذكر الحميد)، توفي سنة 567 ـ ابن الابار، الحلة السيراء ص 220 ـ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، نشر بروفنصال، طبعة لبنان 1954 ص 259

Dozy Recherches sur l'Histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen age. T. I 198, page 365 - 66

Melchor Antuna Campanas de los Almohades en Espana, Fasc. I (Religion y cultura) P 13 Note 5

(2) مرسية (Murcia) بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم سنة 216 لا تبعد إلا يسيراً عن شاطئ المتوسط شمال قرطاجنة تبعد عنها ـ 48 ك م

الحميري الروض المعطار، نشر بروفنصال - 1937 طبعة القاهرة ص 181-182-183

شكيب ارسلان ـ الحلل السندسية، جزء ثالث، طبعة 1936، ص 533

(3) تحرك عبد المؤمن من حضرة مراكش في أول شوال من سنة 553 متجهاً نحو رباط الفتح، وبعد أن نظم الأحوال تحرك من سلا في العاشر من شهر صفر من عام أربعة وخمسين وخمسمائة قاصداً المهدية وطرابلس بإفريقية لفكهما من حوز روجي الثاني أو غاليالم الذي حاول أن يخلو جواً من العداء بين طرابلس وعبد المؤمن الموحدي. أنظر رحلة الحشائشي ص 36 ابن علون =

الأندلس حتى نزل على مدينة (جيان[1])، وفيها محمد بن علي الكومي [2]، فصادف عنده من النكوث بالبيعة قبولاً لمراده، وأعجله الشؤم من رأيه بارتداده، فظن ابن مردنيش أن سائر البلاد يجد عندها وعند أهلها ما وجد عند محمد بن علي في هذه من الفساد، فوصل قرطبة[3] ونازلها ودمّر زروعها، وعفّى ربوعها، وكان فيه[4] أبو زيد عبد الرحمن بن تيجيت[5] والياً عليها، وحافظاً لديها، فدافعه مدافعة الفرسان الأبطال، أهل الوفاء بالبيعة للأمر العزيز في كل حال، وقاتله أشد قتال، ولاقى عنده ما يلقى من الأساد عند حماية أبنائها الأشبال.

- التذكار فيمن ملك طرابلس من الأخيار، ص 58 ابن عذاري البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب (من مخطوطات وزارة الأوقاف) الخزانة العامة، الرباط ـ مسجل تحت رقم ق - 200 ص 19-20 وهذا المخطوط ماثل الآن للطبع في معهد الأمير مولاي الحسن بن المهدي بتطوان، وذلك بعناية المستشرق الأستاذ السيد امبروسيو ويسي ميراندا ومساهمة الأستاذين محمد بن تاويت ومحمد إبراهيم الكتاني

(1) جيان (Jaen) تقع شرقي قرطبة على بعد 108ك م منها، من علمائها أبو ذر الخشني أحد رجالات جامع القرويين
ابن أبي زرع، القرطاس نشر الهاشمي الفيلالي - الرباط 1936 الحميري، الروض المعطار - 70 72-71

(2) تتضافر المصادر على أن محمداً بن علي الكومي كان والياً على مدينة جيان ولكنها لم تشر لتاريخ توليه هذا المنصب
ابن عذاري البيان المغرب ص 22 ـ ابن خلدون، المجلد السادس طبعة بيروت 1959
الناصري الاستقصاء، طبعة دار الكتاب بالدار البيضاء سنة - 2 - 1954 ص 126

(3) قرطبة (Cordoba) قاعدة بلاد الأندلس وتمتاز بجامعها الشهير، تقع شرقي مدينة اشبيلية على بعد 138ك م.
الحميري الروض المعطار من صفحة 153 إلى 158

(4) كذا يوجد في الأصل ويظهر أن الصواب (فيها) وفي ابن عذاري (بها) أنظر البيان المغرب ص 22

(5) بعض المصادر تكتبه هكذا ابن يكيت، وبعضها ابن يكيت، وبعضها بجيت، وقد عينه والياً على قرطبة عبد المؤمن سنة 550، وتيجيت كلمة بربرية معناها شجرة صغيرة
ابن عذاري البيان المغرب ص 11 ـ ابن خلدون - 6 492 الناصري الاستقصا ثان ص 110 - 126

(التحيل لاقصاء ابن مردنيش عن قرطبة ومقامه على أبواب اشبيلية)

ودام حصاره لها، إلى أن اجتمع القاضي أخيل بن إدريس[1] مع أبي زيد عبد الرحمن المذكور وتحيل[2] [3] بحيلة من حيل الحرب وكتبا كتاباً على لسان سيد راي بن وزير[3] من اشبيلية[4] ودفعاه لرجل زيات على ثيابه أثر الزيت، وكان الرجل من خَوَل القاضي، فأمره أن يغير لباسه كأنه زيات من أهل الشرف[5]، ويسير بالكتاب إلى ابن مردنيش بمحلته ويدفعه له. وفي الكتاب من ابن وزير فصلٌ مستعجل عليه مكتوب أن يعجل بالإقلاع عن قرطبة ويسير إلى اشبيلية فهو ضامن له دخولها، فحين قرأ الكتاب ابن مردنيش أمر بالإقلاع والإسراع، واتفق من قدر الله تعالى أن الموحدين ـ أعانهم الله ـ كانوا

---

(1) من كتب للملثمين وقد اتصل بعد بالوزير ابن عطية فكانت له وظيفة مع الموحدين انظر ص - 82 83 من (المن بالامامة) ـ الحلة السيراء 222 المقري نفح الطيب، طبعة 1949خامس ص 19
الزركلي الاعلام 1 265.

(2) هناك كشط في المخطوط والأصل: تحيلا، ابن عذاري، البيان المغرب ص 22.

(3) يكنى أبا محمد وهو من الرواة الذين اعتمدهم ابن صاحب الصلاة مراراً، ومن لهم حظوة سامية في العصر الموحدي، كان من أشياخ الثوار في الأندلس، ثم سكن مراكش، وقد حضر عدة غزوات وذهب في سفارة فرنانده الببوج وكان يجيد اللسان العجمي، وبعض المصادر تكتب اسمه هكذا (سيداري) و(سيدارت) باللهجة البربرية معناها على رجليه أنظر ص 263 من من ابن صاحب الصلاة، الحلة السيراء ص 202-239، أشباخ تاريخ الأندلس ص 207، الاستقصا الجزء ص 107
وعلى بعد ثلاثة كيلومترات شرق مدينة باجة يوجد جبل وسداري، ويبدو ان هذا أثر لا جدال فيه لسكنى سيداري، وذلك على ما يرى العالم البرتغالي مارتيم فولهو (Martin Velho) في الإفادة الخاصة التي أدلى لنا بها مشكوراً بمناسبة زيارتي الأخيرة للبرتغال.

(4) اشبيلية (Sevilla) تقع جنوب غربي قرطبة بينهما 138ك م، مدينة أزلية ظلت محل عناية من الفاتحين وخاصة بني عبد المؤمن. الحميري، الروض المعطار من صفحة 18 إلى 22

(5) الشرف (Aljarfe) يقع في الشمال الغربي من اشبيلية على بعد ثلاثة أميال منها ويعرف بزيته الشهير، ويسمى كذلك لأنه مشرف على ناحية اشبيلية الشريف الادريسي، نزهة المشتاق، طبعة ليدن 1864 ص 173-178 الحميري، الروض المعطار ص 101-102 المقري، النفح، طبعة 1949 جزء 1ص 103-150-160 علي نصوح الطاهر: شجر الزيتون، طبعة 1947ص - 11 12-164-165.

قد وجّهوا جاسوساً إلى المحلة من اشبيلية فحين علم الخبر، وشاع وانتشر، رجع من لبلته إلى اشبيلية وأعلم بإقلاع المحلة وبخبر كتاب ابن وزير الذي سمع. فصدقوه، وتغيّروا على ابن وزير وسجنوه، فوصل ابن مردنيش بجمعه ونزل على مقربة من أشبيلية بالموضع المعروف بالفونت[1] على ميل منها وقاتلها بعض من أجناده حتى وصل إلى باب قرمونة [2]، وأقام على اشبيلية ثلاثة أيام، فلما لم يرَ شيئاً مما كان في الكتاب علم أنها خدعة وأقلع خاسراً، وقد شرحت هذا الخبر في (تاريخ المريدين[3]) ولقيت اشبيلية عظيم الخطب، وجماع الرعب، وحل بها وبأهلها كرب وحرب، وضبطها السيد[4] الأعلى أبو يعقوب [4] - رضي الله عنه - بسعده وحزمه وجده وعلو جده ومن كان عنده من حفاظ[5] الموحدين الكبراء وطلبتهم أعزهم الله وبالأجناد الأولياء

---

(1) الفونت (Al Funt) على ميل شرقي اشبيلية وقد روى ابن الابار عن بعض أصحابه أنه قال:
رأيت منقوشاً في حجر الفونت من خارج اشبيلية:

حلف الجودُ يا سُليمى وأقسم	ما فتاه سوى الوزير أبي أرقم
عاش ما عاش ثم مات حميداً	رحم الله من عليه ترحَّمْ

التكملة، نشر بيل وابن ابي شنب

Ambrosio Huici Miranda Historia Politica del Imperio Almohade, 1957, page 196

(2) باب قرمونة (La puerta de Carmona) تقع في الجنوب الشرقي من اشبيلية في اتجاه مدينة قرمونة

(3) هذا كتاب آخر لابن صاحب الصلاة ورد ذكره مراراً، وقد أهمل الناسخ في هذا الموضع تنقيط الحرف الذي يلي الراء فاحتمل الياء والتاء لكنه في المواضع التالية: ص 20-54-230-271 وضّح الياء، والكتاب في المرة الأخيرة ورد باسم ثورة المريدين. راجع المقدمة حول هذا الكتاب

(4) كان بنو عبد المؤمن يُسمون بالسادة، وقد عين أبو يعقوب والياً على مدينة اشبيلية سنة إحدى وخمسين وخمسمائة باقتراح من القاضي ابن الجدّ الذي ورد على الحضرة العلية ضمن شيوخ اشبيلية. ابن عذاري: ص 13-14 المقري: نفح الطيب طبعة مصر 1949 1-420 الناصري: الاستقصاء 2-100

(5) امتاز نظام الموحدين منذ ظهور المهدي، بارتكازه على (وحدات) معينة، تأخذ كل منها ترتيباً خاصاً، والظاهر أن هذه الطبقات تزايدت وتنوعت بحسب الحاجة والزمن، وقد تعرضت جل مصادر التاريخ الموحدي لهاته الأصناف وتعدادها كما في ذلك كتاب البيذق، والمعجب للمراكشي، والقرطاس، ونظم الجمان وكتاب العبر، والحلل الموشية، ورقم الحلل إلى آخره.
إلا أن هذه المصادر تختلف قليلاً حول الترتيب المعروف لهاته الفئات وعددها ونوعها. فالبيذق مثلاً،

المُحبين كأبي العلاء بن عزون[1] وأصحابه وكأبي بكر الغافقي[2] وأشياخ

= يكتفي بذكر (أهل الدار): دار المهدي، وأهل الخمسين، الذين هم في عداد صحابته الأولين من أهل القبائل التي سارعت إلى الاستجابة لدعوته: هرغة وتينملل وهنتاته وجدميوه، كما يذكر عبيد المخزن والحفاظ وأهل الحرب.
بينما تولى المراكشي الحديث عن (العشرة) الذين يسمون بأهل الجماعة، ثم طبقة أهل الخمسين الذين يسميهم ابن خلدون آيت الخمسين، وذكر المراكشي أن الموحدين خصوا العلماء المنتحلين باسم طلبة الحضر، كما أطلقوا على علماء المصامدة طلبة الموحدين. وإن هؤلاء الطلبة هم (الأشياخ) بالذات، وقد أعطى ابن القطان تفسيرات لبعض مهمة الطبقات الموحدية، حيث ذكر أن أهل الدار يختصون بالخليفة في ليله ونهاره، كما ذكر ابن الخطيب في رقم الحلل أن أهل الجماعة كان يخصهم للتفاوض والتشاور، والطلبة والحفاظ لحمل العلم والتلقي، وأهل القبائل لمدافعة العدو
هذا وورد في الحلل الموشية ذكر (أهل سبعين) نقلاً عن ابن اليسع، وقد أنكر وجود هذه الطبقة ابن القطان في نظم الجمان، ذاكراً أنه لا يعرف غير العشرة وأهل الخمسين، ويؤيد هذا نحو البيذق، وابن صاحب الصلاة، وابن خلدون مثلاً من ذكر السبعين. وتتميماً للحديث نشير إلى أن بعض الكتب المذكورة لا تخلو من اضطراب عند محاولة استقصاء عدد الخمسين مثلاً. فقد لا يتجاوز المعدود في بعضها تسعة وثلاثين وقد تتجاوز الخمسة والخمسين
البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، نشر بروفنصال صفحة 29-32-33-34-35
المراكشي: المعجب طبعة القاهرة سنة 1949 صفحة 188-342
ابن القطان: نظم الجمان (مخطوط) نشر الدكتور محمود علي مكي، وكيل معهد الدراسات الإسلامية بمدريد بمساعدة المعهد الجامعي للبحث العلمي الرباط.
ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، طبعة الرباط صفحة 113-114-116
ابن خلدون: العبر، طبعة بيروت، الجزء السادس صفحة 470
الحلل الموشية: نشر الأستاذ علوش: الرباط 1936 صفحة 87-88-89
ابن الخطيب: رقم الحلل في نظم الدول صفحة 57
الناصري: الاستقصاء صفحة 86

Basset et Terrasse Sanctuaires et foteresses Almohades Hespéris, t IV, 1924 p 26 - 27 - 28

(1) شيخ الرؤساء بالأندلس والمستشار الناصح لعبد المؤمن ولابنه من بعده، وقد انتدب لعدة مهمات إذ كان ينعت بناصح الدولة المهدية، وقد حضر غزوة (وبذة) مع الخليفة أبي يعقوب وهو من الرواة الذين اعتمد عليهم ابن صاحب الصلاة. أنظر ص 351 من كتاب (المن بالامامة)

(2) هو قاضي مدينة اشبيلية من الذين كان يعتمدهم أيضاً عبد المؤمن وقد كان في صدر الذين يدخلون عليه، وقد كان من أهل العلم والنباهة، وكان أحد الوافدين على الخليفة سنة 555 وقد ولي بعده قضاء اشبيلية أبو القاسم الحوفي. توفي في نحو السبعين وخمسمائة. التكملة - العطار رقم 192

اشبيلية، وأعيانها المحبين المخلصين لهذا الأمر العزيز، يسهرون طول ليلهم على الأسوار ويثقفون أبواب المدينة بالثقاف طول النهار ويتعوذ الجار من شر الجار، وساء ظن الموحدين - أعانهم الله - بالناس فسجن منهم من اتهم، وأمضى السيف والنكال على من صح عليه أنه غش الأمر وأجرم، وسلم من لازم الطاعة واستسلم، ودام ذلك كله حتى طلع الفجر الصادق بالفتوح والبشار بكل جذل، فجدع أنف الكفر وأرغم بالكتب الواردة عليه بالفتوح المتصلة المتناسقة المشتملة فمنها:

ذكر ورود الكتابين العزيزين المبشّرين بالفتوح الماضية والمستقبلة

الواحد منها مؤرخ بالثاني من ذي الحجة من عام أربعة وخمسين بظاهر المهدية[1] يعلم فيه بكل سرور[2] وجذل، ومآل إقبال وأمل والكتاب الثاني، الجامع لجميع أشتات [5] الفتوح والأماني، مبشراً بفتح[3] مدينة المهدية في يوم عاشوراء من عام خمسة وخمسين وخمسمائة، وتاريخه بيوم عاشوراء

قال الراوية [4]: ولما فتح الله تعالى مدينة المهدية بتيسيره الغريب،

(1) منسوبة إلى عبيد الله المهدي الذي بناها على شاطىء شرقي القيروان سنة 300 (916م) وكانت تسمى جزيرة الفار وفيها يقول الشاعر ابن حبوس الفاسي في الخليفة الموحدي:

مطالع الأسد احتط البناة بها ... لكنك الأسد الدامي الأظافير

باب حديد وأبراج ثمانية ... تسحر العقل فيه أي تسحير

البكري: المسالك والممالك ص 29 نشر البارون دوسلان، الجزائر 1857

الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد طبعة الاسكندرية 1958 ص 117 ابن حماد: أخبار ملوك بني عُبيد وسيرتهم ص 9-10

(2) اكتفى ابن صاحب الصلاة بالإشارة فقط إلى موضوع هذه الرسالة وإنها كانت بشرى من غير أن يورد نصها الكامل.

(3) يقتصر أيضاً ابن صاحب الصلاة في الكتاب الثاني على وصف فصول الكتاب الرفيعة، ومقارنته بأساليب البلاغيين المشهورين وإذا ما اعتمدنا ما ورد في صفحة 7 فإنه من إنشاء الخليفة، ولا بُدّ من التقدم إلى صفحة 40 للوقوف على مزيد تفصيل لأخبار المهدية

(4) لم نهتد إلى معرفة اسم راوية ابن صاحب الصلاة وأغلب الظن أنه كان يستقي أخباره في كل =

واليمن القريب، ونزل النصارى - أهلكهم الله - عنها، وصفت للإسلام بسعد سيدنا الخليفة الإمام خليفة أمير المؤمنين الخليفة رضي الله عنه للموحدين أجمعين مجلس التهنئة والشكر لله تعالى على ذلك ودخل إليه الفقيه العلامة أبو محمد المالقي[1] شيخ طلبة الحضر فقبّل يده وهنّأه على ذلك، فقال الخليفة له رضي الله عنه يا أبا محمد هل قال أحدٌ في هذا الفتح شيئاً؟ قال فيه [2] ابن حبوس[3] قصيداً حسناً أوله: (كامل)

(شُدَّت إِلَيْكَ عَلَى الرِّيَاحِ سُرُوجُ ... أَيْنَ الفِرَارُ بِأَهْلِكُم يَأْجُوجُ)[4]

قال الخليفة: يكفيه هذا البيت وأمر له بجائزة

= مناسبة من الشخص المختص، على أنه ذكر أحياناً اسم الذين حدثوه كأبي محمد سيد راي (ص 236) وأبي العلاء ابن عزون ص 352

(1) هو عبد الله بن محمد بن عيسى الأنصاري المالقي، أخذ في صغره عن أبي الحكم بن برجان، واختلف إليه بقريته من نظر طلياطة من شرف اشبيلية، كان فقيهاً نظاراً خطيباً مفوهاً ذا حظ من الأدب وافر، وقد نال مركزاً مهماً لدى الخليفة إذ كان أمينه ووزيره وكان شيخ طلبة الحضر عنده توفي بمراكش سنة 574 ابن الأبار: التكملة كوديرا رقم 1394 المراكشي، المعجب طبعة 1949 ص 200-245

(2) هنا بياض التسكتي: نيل الابتهاج صفحة 134، ولعل الأصل هكذا: فيه قال ابن حبوس

(3) هو محمد بن حسين بن عبد الله بن حبوس بالباء الموحدة المخففة، كان يسكن بدرب السراجين من فاس كان عالماً وشاعراً مفلقاً متقدم في ذلك أهل زمانه ولد سنة 500 وتوفي سنة 570

ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة رقم 1055 طبع كوديرا

المعجب، طبعة القاهرة 1949 ص 213 214

Pérés. La poesie - Fès sous les Almoravides et les Almohades Hespéris T (XV3) 1934 page 18 - 33

محمد الفاسي: الشاعر ابن حبوس (مجلة الثقافة المغربية) نونبر - دجنبر 1941 ص 153-162

(4) بيت من قصيدة نظمت في مخالة، ويعرف منها بيتين أوردهما صفوان بن ادريس

عصفت بدعوتك الرياح الهوج ... وسطا بأمرك داخل ووشيج

وتقلقتك إلى العدو مهابة ... يشفى بها في سد ماجوج

والقصيدة كما ترى خطاب لعبد المؤمن وليست خطاباً لأبي يعقوب يوسف

انظر صفوان بن ادريس، زاد المسافر، نشر عبد القادر محداد طبعة بيروت 1939 ص 1 - 2، سنة 1934 المجلد 18 ص 32 الجراري دعوة الحق، مارس 1961ص 56 ثم لا يخفى ما في البيتين من تلميح لتاريخ الاسكندر الأكبر ويأجوج ومأجوج، المذكور في القرآن السورة 18 آية 90 91 ابن جزي، كتاب التسهيل المجلد الأول، الجزء الثاني ص 194-195

وفي الكتاب من وصف الفتوح والحدل المموح بما أربى على وصف الصاحب بن عباد[1] أو البليغ عبد الحميد [2]، وأطب وطرب النفوس بمحاحات مسرات أعجزت في النثر كتابة أبي الفضل بن العميد[3] فيا له من كتاب أقبل والنفوس من علل الفتنة تشوق، وأحيى مريح طية الـظفر خالطه[4] من ريح النصر حلوف، سرح باتصال فتح إفريقية[5] وطوع [6] العرب ثم ارتدادهم. ثم تيسير الفتح الأعظم في هربمتهم وعيبتهم.

وتعلعلت فصول الكتاب العزيز في فصوله الرفيعة، وأوصافه البديعة، في آثار الوقائع بالسيوف الحداد، في ذكر الخبيث المخبث جرثومة الضلالة والعناد، الكذوب الطاعة والانقياد، المتسمى بمحرز بن زياد[6]، وأمثاله وأقياله بما أعجز الأسماع، وملأ بالسحر الحلال الرقاع.

وفي آخر الكتاب قطعة شعر أعلنت بقضاء الله تعالى بالبيعة في بلوغ الأوطار، وفتح المشارق، وإتمام مراد الله في غلبة الكفار، والمرتدين الأشقياء

(1) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمه للدكتور عبد الحليم النجار، طبعه دار المعارف مصر 1961، المصدر السابق جزء أول ص 261

(2) بروكلمان، المصدر السابق جزء أول ص 261.

(3) بروكلمان، المصدر السابق جزء ثان ص 119

(4) هكذا في الأصل، ويظهر أن الصواب خالطها لأن الريح لفظ مؤنث أو أن هناك لفظة (الذي) محذوفة الظفر الذي خالطه

(5) يذكر صاحب الاستبصار - وهو ما يقوله أبو عبيد الله البكري الاندلسي - أن حد أفريقية طولاً من برقة شرقاً إلى مدينة طنجة غرباً، وأن عرضها من البحر إلى الرمال التي هي حاجز بين بلاد أفريقية وبلاد السودان، لكن ياقوت في معجمه يحد أفريقية من طرابلس الغرب إلى بجاية، ويؤخذ من ابن صاحب الصلاة أن أفريقية تشمل طرابلس الغرب، وهو ما تؤيده المصادر التاريخية القديمة

الاستبصار ص 111-112، معجم البلدان طبعة بيروت 1955 أول صفحة 228، المن بالامامة ص 43 - 300 - 302 جلاء الكرب عن طرابلس الغرب التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تحقيق الطاهر الزاوي ص 58-59

(6) هو محرز بن زياد الفارعي أو الفادعي أمير بني علي من بطون رياح ابن خلدون - 6 44 - 332-336 - 494 - التجاني الرحلة ص 341. ابن غلبون التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ص 53.

القحار، ونيل الغلبة لأولياء الله الموحدين الأبرار، وعدة بنصر معجل، وفتح قريب في يوم أغر محجل، وهي [1]. (طويل)

وَلَمَّا قضيْنا بالمشارقِ أمرَنَا   وَتم مراد الله في كلِّ مطلبِ
واشرقتِ الشمسُ المنيرة موهناً[2]   وأصبح وجهُ الحق غيرَ محجَّبِ
وطُهِّر هذا الصقعُ[3] من كل كافرٍ   وعاذَ بها الإسلامُ بعدَ تغيُّبِ
وكسرت الصُّلبانُ في كلِّ بيعةٍ   ونادى منادي الحق في كلِّ مرقبِ
أشرنا بأعناق المطيِّ إليكُمْ   فطارَ بها شأْوُ السُّرور بمغربِ[4]
فأبْشِر أبا حفص[5] بنصرٍ مؤزَّرٍ   كفيلٍ بما تبغيه في كلِّ مذْهَبِ
ولا بدَّ من يومٍ أغرَّ محجَّلٍ   يُسيل دماءَ الكفر في كل مذْنَبِ
وتُشفى صدورُ المؤمنين بغزوةٍ   تكون على حكم الحُسام المدرَّبِ
[7] ويغزُو بلاد الروم جيشٌ عرمرمٌ   تُخُيِّرَ من قيسٍ[6] وأبناء يعْرُبِ[7]

(1) القصيدة - إذا ما اعتمدنا ما ورد هنا في صفحة 8 وما في ص 23من ابن عذارى - من شعر الخليفة عبد المؤمن. وقد كان بالفعل شاعراً. الحلل ص 131.

(2) قرىء في ابن عذاري هكذا (موقنا) انظر ص 23.

(3) يكتب الصُّقْع دائماً عنده بالسين وهي - وإن كانت لغة - لكنها غير مشهورة.

(4) فيه إشارة إلى قول الشاعر

أخذنا بأطراف الحديث بيننا   وسالت بأعناق المطي الأباطح

(5) هو السيد عمر ولد عبد المؤمن من زوجه صفية بنت أبي عمران، حاكم تلمسان ثم حاكم اشبيلية

(6) يعني قيس بن عيلان، ويذكر بعض النسابة أن البربر ينحدرون منه، وفي ذلك ينشد علماء البربر لعبده بن قيس العقلي

أبونا أبوهم قيس عيلان في الذرى   له حرمة تثني عليل المحارب
وقيس قوام الدين في كل بلدة   وخير معد عند حفظ المناسب
وقيس لنا المجد الذي يقتدى به   وقيس لنا سيفٌ حديد المضارب

ومما ينسب أيضاً ليزيد بن خالد

أيها السائل عنا أصلنا   قيس عيلان بنو العز الأول
إن قيساً قيس عيلان هم   معدن الحق على الخير دلل

لكن المحققين من المؤرخين يعتبرون هذا النسب (منكراً من القول) على حد تعبير ابن خلدون

ابن خلدون 6 186-187-190-191 الناصري الاستقصاء 1 62-63

(7) يعني يعرب بن قحطان وقد كان من أعظم ملوك العرب، ويقال إن العرب إنما سميت عرباً به.

تصول بـه من عصبة الحق مَعْشَرٌ نحيلة(1) مـا ألقـاه غيـر مجـرّب
فيدمغ بالصمصام كـلَّ مُجَاهِـرٍ ويقـطع بـالـبرهـان كـلَّ مشغّب
فطوبى لأهل الغرب(2) ماذا يرونـه من النّصر والفتح المبين المقرّب

(الاحتفالات في اشبيلية ببشائر النصر في المهدية)

وكان وصول هذا الكتاب الكريم إلى اشبيلية والأبيات المعجزة المبشرة النيرة، التي تركت ألباب المنافقين متحيرة، في شهر صفر من عام خمسة وخمسين وخمسمائة، فأمر سيدنا الأمير الأجل أبو يعقوب ـ أمير المؤمنين بعدُ ـ أن يكتبها الناس والطلبة باشبيلية ويحفظونها ويسردونها على ألسنتهم. وذكر أنها من إنشاء الأمر العزيز فامتثل الناس ذلك، ودعوا إلى الله أن يخلد لأمير المؤمنين الأوامر العزيزة والممالك، وقرئت الرسالة والأبيات الواصلة وتليت، وارتقيت بها ذوائب المنابر، وأسمع بها الحاضر والبادي بجميع هذه البشائر، وبث مسراتها في الرعايا والعشاير، وطارت الركبان بأبياتها العذبة المبشرة مطارها إلى الجهات والعماير، وقرعت أخبارها الصادقة، وأنباؤها المتلاحقة، سمع كل كافر، والحمد لله. وأمر الأمير السيد بقرع الطبول(3) على هذه المسار التي استلذت بها المقل وحمدت غايات الكرى، وتمتعت

* وهو أصل عرب اليمن الذين أقاموا بها وتناسلوا.
عمر رضا كحالة معجم قبائل العرب 3 ص 1266.

(1) يرويه ابن عذارى «نحملة ما يلقاه خير مجرب» وعلى هذا يكون المعنى أن هذا المعشر خير مجرب لكل ما يلقاه.

(2) يعني بالغرب هنا البلاد التي تقع غرب المشارق التي «انجز الله فيها وعده» فتشمل اذن بلاد المغرب والأندلس.

(3) جرت عادة استعمال الطبول عند الموحدين سواء عند البشرى أو الايذان بالحرب، والحقيقة أنها عادة عرفت منذ أيام المرابطين فلقد استعملها يوسف بن تاشفين منذ سنة 454، ويظهر أن «الطبول» نقلت في أغلب الظن من افريقيا، وإن الذي يزور دول افريقيا اليوم يمكنه أن يتأكد من هذا الافتراض.
الاستقصاء ص - 220 الحلل الموشية ص 41. أشباخ: تاريخ الاندلس ص 103.
الناصري، الاستقصاء - 2 ص 45. دكتور أحمد مختار عبادي: دراسة حول كتاب الحلل الموشية مجلة تطوان عدد 1960 ص 153.

بها الآذان بنعيم [8] البشرى. وأطعم الموحدين والناس كافة وخاصة من أهل إشبيلية والأجناد مدة ثلاثين يوماً، وقرع الطبول مع الأطعام متصل، والبشر مشتمل، والشعراء ينشدون أشعارهم بالتهاني ويتممون(1) الثلج بصحيح الأماني.

(استشهاد عبد الرحمن بن تيجيت بضواحي قرطبة)

وفي هذه الأيام ورد خبر كارث من قرطبة أن إبراهيم بن همشك(2) صهر ابن مردنيش نازل قرطبة ودمّر زروعها وقطانيها وأن أبا زيد عبد الرحمن بن تيجيت حافظها وشيخها استشهد عليها، وذلك أن ابن همشك لما أقلع من منازلتها وانتساف ما كان بخارجها أكمن بخيله ورجاله على مقربة منها بقرية (أطابة(3)) وهي قفرة، فخرج أبو زيد عبد الرحمن في جملة من فرسانه ليتطلع الحال فخرج عليه الكمين، فقاتل حتى استشهد على مقربة من قرطبة في الموضع المعروف «بالدّارات(4)». رجع الخبر

(استنجاد والي اشبيلية بأبيه عبد المؤمن واستعجاله في القدوم)

فجاوب السيد الأمير الأعلى أبو يعقوب، حضرة أبيه الخليفة أمير المؤمنين رضي الله عنه على الكتاب العزيز الواصل بما اقتضاه الشر، واستوجبه من الدعاء والتأميل الأمر، ووصف الفتنة واستغاث إلى الحضرة

(1) هكذا في الأصل: ويتممون الثلج، وفي البيان المغرب: ويتمون الثلج ص 42. وثلج نفسه ـ كفرح وطرب ـ اطمأنت.

(2) إبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك، وهمشك جده نصراني أسلم على يد بني هود بسرقسطة، كان في جملة الثوار الذين كانوا يطمعون في اقصاء الموحدين عن الجزيرة، وقد داخل ابن مردنيش حتى زوّجه بنته ثم اختلفا فيما بعد. وتسميه بعض المصادر عبد الله. المراكشي: المعجب، طبعة سلا سنة 1938، نشر محمد الفاسي ص 126. Dozy Recherches T IP 368 — 69

(3) اطابة: قرية قريبة من قرطبة، وقد اكتفى ويسي بنقل اللفظ هكذا (Ataba).

(4) الدارات: موضع قريب من قرطبة وقد فعل به ويسي ما فعله بالسابق (Al - Darat).

العلية أن يستعجل منها النصر، وكان عنده باشبيلية الأستاذ أبو العباس ابن سيد المالقي[1] فأمره الأمير السيد الأجل [9] المذكور أن يجاوب بشعر على معنى الشّعر الواصل، ويذكر حال الفتنة، وبعث بهذا الشعر مع الجواب الذي يشرح فيه أحوال ابن مردنيش وإلحاح فتنته فقال. (طويل).

هُو الأمرُ أمر الله ليس له رَدُّ   يؤيدهُ أيدٌ ويسمو به جَد
وقد وضحت آياتُه وأماناته   وقد أفحمتْ رُغماً به آسنٌ لُد
وما اشتبهت مُذ حُمّ إلا لـرائـع   عقيدتُه كفرٌ وإقرارهُ جحدُ
فمن يسع فيها العيّ بعد احتلاته   فإن حسام الهنْد فيه لَهُ رُشْد
وهذي[2] رياحٌ ويحه عصفتْ بِهِمْ   فعادُوا كعادٍ[3] حين حلّلها الرمْدُ
ولم يَنجهم حصْنٌ حصينٌ إذا انبروا   ولم يُغنِهم ذاكَ العديدُ ولا العَدُّ
ولم يجدُوا النُصْر العنيدَ بزعْمِهِمْ   من اللاّت بل رُدُّوا حديثاً كما أُردوا
وكانت سبيلُ الرُّشد واضحةً لَهُم   فما منهُم فيها وسيمٌ ولا وَحْدُ
ولا سَلكُوا فيها سلوكَ مُعذّرٍ   ولا انتضحت فيها الشكائمُ واللُّبَدُ
ولكنّهم مالُوا إلى الكفْرِ ميلةً   فصالتْ بِهِمْ منكُمْ يَدٌ ولها الأيْدُ
إليكُم أميرَ المؤمنين توجّهتْ   بنا الرّغبَاتُ الجمُّ بحثّها جهْدُ
لِفعْلٍ عياناً منكُمُ لعبيدكُمْ   وقرباً لكم منهُمْ يُدالُ به البُعْدُ!
فقد عصْبهُم مابٌ من الكُفْرِ معْضِلُ   وكانُوا بكمْ دهْراً وأنيابُه دُرْدُ!
بكُمْ يعصِمُ اللهُ العليّ جميعهم   بكم تعظُم الآمالُ بل يكثُرُ الرِّفْدُ

(1) أحد الأدباء الذين عاشوا في البلاط الموحدي، وهو أحمد بن حسن بن سيد الجراوي المالقي، درس النحو والأدب كثيراً وكان شاعراً كاتباً بليغاً، وقد تحول من مالقة إلى قرطبة ثم صار إلى مراكش فأدب بني عبد المؤمن وبها توفي بعد الستين وخمسمائة، وليس هذا بابن سيد اللص كما أنه ليس هو أحمد الجراوي، انظر ص 311 من (المن بالامامة) نفح الطيب طبعة 1949جزء 5ص 166 عباس بن ابراهيم الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام طبعة فاس 1936 ص 226 227 محمد الفاسي شاعر الخلافة الموحدية، ص 3

(2) من القبائل العربية التي زحفت إلى افريقية وهي فيما ذكره ابن الكلبي رياح ابن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر ابن خلدون ـ 6 69-70-71 الناصري الاستقصا 2 151.

(3) هي قبيلة نبي الله هود، وقد أرسل الله عليها ريحاً صرصراً عاتية دمرت كل شيء فيها، والرمد: الهلاك عبد الوهاب النجار قصص الأنبياء، طبعة ثانية ص 69-78.

بكم يعتلي الإسْلامُ شرقاً ومغْرِباً   فلله فيها دائماً ولَكَ الحَمْدُ!

ونهض الرقاص[1] بالجواب وبهذا الشعر وطال أمد السّفر في الورود [10] والصَّدَر، والعدو يلح بالفتنة والضرر، ويستعين بإخوانه النصارى وبالمنافقين أصحابه الأخر، واشبيلية في مثل الحلقة من الفتن، قد نهل بالغصص ساكنها، وذهل خوفاً من القصص متحركها وساكنُها، وينتظر الفرج من الله، ـ تعالى ـ ومن عدة منجزة في كتاب، ويستمطر الغيث بأن يرفع الله الغيثَ بآيات الله المتلوّة في الكتاب، إلى أن سنّى الله وصول الجواب من الخليفة أمير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ من مضرب محلته المنصورة على مقربة من القسطنطينية[2] بتاريخ ربيع الأول من عام خمسة وخمسين وخمسماية يُعرف فيه بصحيح الإياب، وما ثنى فيه من أعنّة خيل الله لهذه الأسقاع، وحماية ذلكم الجَناب. وبه فتح الله قفصة[3] ومحاطة بني سُلَيم[4] بالتوحيد،

(1) الرقاص لفظ معروف منذ القدم إلى الآن في المغرب، ويطلق على الشخص الذي يقوم بالبريد، وللرقاصة أمين يسهر على الحرفة، وقد كانت تسند لرجال أقوياء مدربين على الركض والعدو، وكان منهم الرقاص العادي، ورقاص الشرط، وهذا هو ساعي البريد المستعجل ينقله بين المدن على الخيل والجياد بمنتهى السرعة، وكان نجد في كل محطة حصاناً مسرجاً يمتطيه إلى المحطة التي تليها وقد حددت بعض الرسائل الموحدية منذ سنة 543 واجبات الرقاصة تحديداً دقيقاً حتى لا يسيئوا استعمال نفوذهم ومما ورد في ظهير لعبد المؤمن الموحدي مؤرخ في شهر ربيع الأول سنة 543 بهذا الشأن ما يلي ... وتخيروا لرسائلكم ارسالا، وانتقوا من أهل المقدرة على ذلك والثقة رجالا وادفعوا إليهم زاداً تقوم بهم في المجيء والانصراف، ويقطع شأنهم في التكليف والالحاق، واوسموا لهم أياماً معروفة العدد، معلومة الأمد لينتهوا بها إلى مواقف رسائلهم ويوزعوها على مسافات مراحلهم وحذروهم من تكليف أحد من الناس ولو مثقال ذرة ... أنظر ابن القطان، نظم الجمان، نشر الدكتور محمود علي مكي بمساعدة المعهد الجامعي للبحث العلمي، ص - 151 162

(2) القسطنطينية وتسمى قسنطينة، مدينة جليلة، تقع جنوب مدينة سكيكدة، وشرقي مدينة بجاية، وهي قديمة حصينة لا يعرف بافريقية أمنع منها ...
الاستبصار ص 127-165-166.

(3) تقع قفصة غربي مدينة صفاقس الساحلية، وشمال قابس وجنوب القيروان وهي مدينة كبيرة قديمة أولية كان بها سور حصين من صخر جليل بأحكم صناعة، وكان اسمها مدينة الحبية
الاستبصار ص 150-151-152

(4) بنو سليم بطن متسع من أوسع بطون مضر وأكثرهم جموعاً وكانت منازلهم بنجد وهم بنو ...

وركب الرقاص بالجواب المذكور مركباً من مدينة بجاية(1) سابحاً في البحر في طريق غير يبس، ويسر الله له - بسعد الأمر العزيز - أن ساعدت الريح بنفس، وسار أسرع من كوكب إذا خنّس، وخرج في (المرية(2)) مرساه، وحمد سُبْحَه في غدُوه وممساه، ووصل إشبيلية وغرناطة(3) في أقرب تاريخ دون تعب في مسراه، وفي الكتاب الكريم الواصل في طيه مدرج نصُّه هذا(4) مع الشعر المجاوب به على شعر الأستاذ ابن سيد المتقدم:

[11] بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم والحمد لله وحده (5)، أعزكم الله، وجعلنا وإياكم من الشاكرين لنعماه، إن من الواجب

- سليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، وفيهم شعوب كثيرة. ابن خلدون 6 -141-142-143-144-145 الاستقصاء 2 146

(1) بجاية: مدينة عظيمة على ضفة البحر المتوسط في الشمال الغربي من القسطنطينية وهي محدثة من بناء ملوك صنهاجة، بناها المنصور بن حماد على إثر عبث العرب في افريقية والقيروان وقد سماها المنصورية، وتحيط بها الجبال والبحر منها في ثلاث جهات، فما طريق إلى جهة المغرب يسمى بالمضيق ... الاستبصار ص 128 - 129 ابن خلدون 6 357-358 وفي علمائها في المائة السابعة ألف الغبريني كتابه عنوان الدراية.

(2) المرية (Al Meria) تقع على شاطىء المتوسط جنوب شرقي غرناطة، وفيها ألف أبو جعفر بن خاتمة (مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية) وفي فاجعتها ألف أبو المطرف بن عميرة

(3) غرناطة (Cranada) يقال غرناطة كما يقال اغرناطة، وكلاهما اعجمي، تقع جنوب مدينة جيان، وشمال مدينة مالقة، فيها يقول وزيرها الشاعر ابن زمرك:

عقيلة تاجها السبيكة ... تطل بالمرقب المنيف
كأنها فوقه مليكة ... كرسيها جنة العريف

ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة - المجلد الأول نشر محمد عبد الله عنان ص 99

(4) يلاحظ من الآن أن جميع الرسائل التي يتضمنها (كتاب المن بالامامة) لم يذكرها الأستاذ ليفي بروفنصال في «مجموع رسائل موحدية» الذي نشره برباط الفتح سنة 1941

(5) سترى في صفحة 99 أن الموحدين اتفقوا على وضع علامة «والحمد لله وحده» منذ رمضان 561، وذلك - على ما يقول ابن خلدون - اقتداء بالامام المهدي إذ وجدوها في بعض مخاطباته ولعل إثبات العلامة هنا - ونحن في سنة 555 - كان تمهيداً لذلك الاتفاق - ومما قالته الأديبة المغربية حفصة الركونية تخاطب عبد المؤمن

يا سيد الناس يا من ... يؤمل الناس رفده
امنن علي بطرس ... يكون للدهر عده
تخط يمناك فيه ... (الحمد لله وحده)

الحتم، والمفترض الحزم، على من لزمه شكر النعم لمسديها ممهد الآلاء لمهديها أن يقدر أولاً النعمة بكمالها، ويعمّر خاطره بتفصيل إجمالها، ويحضر في ذهنه بهجة جمالها، ويسرح عين اعتباره في معاقل أحوالها، حتى يفيض على باطنه نور إشراقها، وتهمي ينابيع مقوله بهاطل عداقها، وتتبارى له نفحات الشكر في ميدان استباقها، وهو الفتح الذي سرر في الأعجام والأعراب، وأضحى نسيج وحده في الاشباه والأتراب، وعقم عن مثله الزمن السالف، وخلت عن وصف نظير له الكتب والصحائف، تتأكد بمحله وحوزة الاعتبار، ولا يزال موقعه يعظم بزيادة الاستيضاح والاستبصار (1)، وقد أسررت لكم صوره، وتليت عليكم آياته وسوره، ووراء ذلك من تفاصيله مطلعات لا تنتهي إليها الأوصاف، وغايات لا تحيط ببعضها الأكناف، فاجعلوا لأنفسكم حظاً من الاعتمال في وزنه لميزانه، وقدره على حقيقة كنهه وكيانه، واعلموا أن هذه الجمرة التي أطفأ الله تعالى لهبها، والجمهرة التي أبادها الله وأذهبها، وقطع بحبله القوي وسببه المتين حولها وسنمها، هي شوكة الأمة التي لم تزل [12] للأمم صالية بنيرانها، والجن والأنس مستعيذين من شيطانها، ومردة كل طائفة متحيرة من تمردها وطغيانها، قد دوّخت الملوك والممالك، واستحقت المسارح والمسالك، واقتحمت بيأسها المتالف والمهالك، ومرت عليها قرون لم يهض لها جناح، ولا ريع لها صباح، ولا قاربها في مطالبها الغوية إسجاح، حتى ظنت أن الحتوف تهابها، وأمر الله لا يطرقها ولا ينتابها، اغتراراً بعددها وعديدها، وثقة بأن الأيام لا تنتقل فيهم عن معهودها، وقد خبأ الله لأوليائه الموحدين من الفتح فيهم صنعاً اختصهم به من بين الأنام، وأحواه عدة لهم

• ابن خلدون: العبر: سادس 498. محمد المنوني - العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين، طبعة معهد مولاي الحسن تطوان ص 34
Luis de Giacomo: une poétesse Andalouse du temps des Almohades Hesps TXXXIV - 1947 P. 49

(1) أورد ابن عذاري بعض الرسالة معتذراً عن ذكر باقيها للاختصار، وقد ساقها قبل التاريخ الذي أوردها فيه ابن صاحب الصلاة، أي أنه ذكرها في أحداث سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة. ابن عذاري: المخطوط ص 21.

في مأثور كلام نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام (1). فلما حقت عليهم كلمة عذابه، وأراد الله إنفاذ حكمه فيهم بما تقدم من أسبابه (طويل)

تسنى لأهـل الحقِّ نيـلُ مُـرادهـم   وطاب لهم فيمـا يَـرُومُونـه الـوِرْدُ
ويُسرت الأسبابُ فاختيرت المُنى   وأُحكِمتِ الآمـالُ فـانتضى الجـدُّ
ودُبِّـر رأيٌ فـالتقتْ عـزمـاتـه   على حُكم ما قد أُحكمت ضربةُ الهِنْدُ
فسار بأمـر الله جيشٌ عـرمـرمٌ   يقـودُ بـه سعْـدُ ويَحدُو بـه سَعْدُ
بكلِّ سيط الشأو مقبضِ الشَّـا   يصُولُ عليه في الـوَغى أسَـدُ وَرْدُ
سَرَوا، ورياح النَّصـر تحردُ بينهُم   فأصبحتْ رياحُ ما لها منهم حَـرْدُ
بضرب يزيلُ الهام عن سكناتِهِ   وطعنٍ شتيتـاتُ القلوب بـه سَـردُ
[13] شفى كلَّ صدرٍ نوّر الله قلبَه   وأشفى صُدُوراً ما لها بالهُدَى عَهْدُ
وطُهِّـرتِ الآفاقُ من كلِّ كـافرٍ   فحصحص حقُّ اللهِ واستُحكم العَقْدُ
ولما طغت جهلاً رياحٌ وصرصرت   دهتْـهـا بـأمْـر الله داهيـةٌ إدُّ
فلم تُغن عنها اللاتُ شيئاً ولا حمى   نفـوسهـم عنّـا سُـواعٌ، ولا ودُّ
وقد مُزِّقوا في الأرض كلَّ ممزَّق   فمن فاتـه قَـدْ أحـاطَ بـه قـدا!
وهـذا هُو الفتحُ الـذي بكمالِهِ   تكـامـل أمـرُ الله والتجزَ الـوَعْـد
به تفتح الـدنيـا بـه يبلغ المنى   به يسجح العـاصي به بقرب البُعد
لقد جَلَّ قـدراً أن يحيط بوصفه   لسانٌ وأن يُحصي معـانيَـه عـدُّ
ولله سـرٌّ فيـه لا بـدَّ يجتـلَى   بآثاره في كـلِّ مفتتـح بُعْـد
ستلقى بلادُ الرُّوم منه حتوفَهـا   ويغشى أُولي الإلحاد من ذِكْرِه جهد
وَمـا كـانَ هـذا الغزو إلاَّ من أجْلِه   فلمَّـا تجلَّى صُبْحُـه كمُـلَ القصـد

(1) يقصد دون شك الحديث الشريف «لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله» وقد تضافرت روايات المؤرخين على الإشادة بشهامة الأفارقة وأقدامهم، فقد روي أيضاً عن الرسول (ص) أنه «ينقطع الجهاد من جميع الجهات ولا يبقى إلا ببلاد افريقية» - والحديث أخرجه مسلم في صحيحه وعبد الواحد المراكشي في المعجب وطريقه عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً بلفظ (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة). كتاب أعز ما طلب نشر جولدزيهر سنة 1903 الجزائر صفحة 269 الاستبصار 112

وقد صُرفتْ نحوَ المغارب عزمةٌ   يبين لهـا في كـلِّ نـاحيـةٍ وَقْـدُ
مـعـوّدةٌ ألا تـهُـمَّ بـمـطْلَبٍ   فيُلفَى لَـهُ من دُونِهـا أبـداً بُـد
وَجـدُّ لأهـلِ الحقِّ أوْبَ معجَّـلٌ   فلله ذاك الـرأيِ والمـذهبُ الجِـدُّ
وحاجاتُهم بالشَّرق قد قُضيَتْ لَهُمْ   فآمـالُهمْ نحْـوَ المغـاربِ تمْتـدُّ
إلى الأفُقِ الغربي صُرْنا صُدورَها   خفافاً كما طارتْ بحرعاتها الرُّبْد
يـا مَعْشرَ الأشياخِ من كلِّ طالبٍ   ومن حـافظٍ للذِّكْرِ ألفـاظُه سَـرد
بشـركُم أنـا اهتممْـنـا بـأمْـركُم   فلتكُم منـا المسـوّمَـةُ الجُـرد
ونَصْحَبنا من خالصِ العُرْب معشرٌ   أنابوا فما رُدّوا وتابُوا فما ارتدُّوا!
[14] رَأوا في ذويهم عبرةً فتيَقظُوا   وكـان لَهُم في غي غيْـرهم رُشْـدُ
ستغزُو بلاد الـرُّوم منهم عصائبُ   وتحمي حمى التُّرحيد من خيْلهُم جنْدُ
فطوبى لأهـل الغَرْب ماذا يَـرَوْنَهُ   لقد جل قـدراً أن يُحيط بـه حـدُّ
جيـوش بنصـر الله تهمي عليكُمُ   يروق بها وَهْد، ويزهى بها نَجْدُ
ويشجى بمرآها الأعـادي كـأنمَّا   عليكم بهـا صمُّ الشـوامـخ تنهَـدُّ
ستعلم أرضُ الـروم أيَّ فـوارسٍ   على ظهْرهـا منهم إذا وفـد الوفْـدُ
وأيُّ رجـالٍ لـلحـروب إذا بَـدَتْ   أسود شَرَى يخشى براثنها الأسْدُ!
وإنـا وإيـاهـم لحتْـمٌ غـلابـنـا   لهم وكـلام الـوَحْي ليسَ لـه ردا!
وإنَّـا لنرجـو الله في كلِّ حـالـةٍ   فيرسعنا فضلاً لَـهُ الشُّكْرُ والحَمْدُ

وهذه الفتوح التي تفتحت لها السماء، وأشرقت بأنوارها دياجير الظلماء إنما صُلي بنيران سيوفها، ودارت أرحية حتوفها، على الرياحين ومن انضاف إليهم من الذين خلعوا عن أعناقهم ربقة الإيمان، ونبذوا وراء ظهورهم أسباب الأمان، وآثروا ناعق الشيطان، على داعي الرحمن، وأما سائر الأعراب فالرجاء فيهم متمكّن، وطريق إحدى الخطتين لهم متبيّن، والقصد إليهم بحسب نفيرهم أو نفورهم متعيّن، لا محيص لهم عن إحدى السبيلين، ولا بدّ لهم من ركوب إحدى الطريقتين، فأما من ظلم نفسه، واعتزل الحق وأهله، فسيذوق من العذاب الأدنى مراً، ثم يُرد إلى ربه فيعذبه عذاباً [15] نكراً، وأما



من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يُسراً. الوعد بفتحهم وملكهم سائق، وخبر الوَحي لا محالة صادق، والنظر في أمرهم متدارك متلاحق، والعمل على شاكلة الصواب بحسب ما يكون مهمّ متناسق. فاستبشروا وفقكم الله لما تستقبلونه من المواهب الجسمية، والفتوح العميمة، فإنها لهذه التي بين اليد - وإن عظم خطرها، وحلّ في النفوس أثرها - بمنزلة الجملة للعنوان، أوالروح من الجثمان والله تعالى يجعلنا وإياكم ممّن شكر انعمه، وأثر العمل الصالح وقدمه بمنه والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

(وصول جواب عبد المؤمن لابنه)

وعند وصول المدرج وهذا الشعر المبشر انشرحت صدور الموحدين، وتحققوا نصر الله وفتحه القريب بأوفى اليقين، وقرئ على المنابر، وتكررت المسارّ في الرعايا والعشاير، وانتسخ الناس والطلبة والموحدون والعامة نُسخاً من الشعر المبشر المدرج المذكور فحفظوه، وصانوه وحفّظوه ودوّنوه، واستقبلت السيد الأجل المعظم أبا يعقوب - رضي الله عنه - وجميع الموحدين - أعانهم الله - بإشبيلية وأنظارها هذه البشائر بغررها، وجلت لديه محاسن صورها، وتليت على التمام والكمال آيات سورها وعرضت [16] على الأفكار والبصائر أشتات عبرها، واتحد الجميع التحدث بركاتها أسمارهم وذهبوا إلى النزهة[1] في أنفسهم سرحة أبهجت بها أزهارهم، وأيقنوا أمنهم من المخاوف وقرارهم، ثم ترادف الكتاب العزيز الثاني لهذا المدرج من أحوار «بجاية» مبشراً بتمادي السير والانصراف، وقرع الظنابيب[2] للصراخ والغوث

(1) هنا لفظ يقرب كثيراً إلى كلمة النزهة

(2) جمع ظنبوب حرف الساق، يقال قرع لذلك الأمر ظنبوبه: تهيأ له، قال سلامة ابن جندل
(كنا إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب)
«لسان العرب»

بالانعطاف، فارتدفت المسار المؤذنة ببسطة الأرجاء والأكناف

ولما وصل تلمسان[1] أوقع بوزيره عبد السلام الكومي [2] ثم تلى أثر ذلك الأمر ببناء[3] جبل طارق على ما أذكره.

(1) تلمسان تقع في الشمال الشرقي من مدينة وجدة، وهي مدينة أزلية عظيمة فيها آثار كثيرة، كانت دار مملكة زناتة. هذا ومن الغريب أن لا يشير ابن صاحب الصلاة لمدينة وجدة مع أنها كانت طريق المار والصادر من بلاد المشرق إلى المغرب وسجلماسة وغيرها. ولعل ما استهدفت إليه من حروب مستمر كان من بواعث عدم التعريج عليها. وفي رحال تلمسان ألف ابن أبي مريم كتابه «البستان» الاستبصار ص 176-177

(2) كان عبد السلام من أقرب الناس إلى الخليفة بعد مقتل الوزير ابن عطيه، وقد كانت له مصاهرة مع الأسرة الملكية حيث أن والد عبد المؤمن تزوج من أم عبد السلام وكانت له معها ست اسمها (بندة) وعلى هذه القرابة كان يعتمد في «تصرفاته» الأمر الذي استوجب الإيقاع به بعد فتح المهدية والوصول إلى تلمسان بطريقة ماولته - وهو في السجن - مستهلاً أعده قواه «حتى لم يبق فيه إلا عيناه» على حد تعبير ابن صاحب الصلاة. انظر ورقة 43 - 45 من المن بالامامة (المخطوط)

(3) يلوح من هذا النص أن الأمر ببناء جبل طارق تم بعد الرجوع من المهدية وبعد الوصول إلى تلمسان والإيقاع بالوزير عبد السلام الكومي وذلك في الرسالة المؤرخة بالتاسع من ربيع الأول عام خمسة وخمسين وخمسمائة على ما يأتي قريباً، بيد أن هناك رسالة موحدية - نقل الأستاذ بروفنصال خطأ أنها من انشاء أبي جعفر بن عطيه المتوفى سنة — 553 مكتوبة في العشرين من ذي القعدة سنة أربع وخمسين وخمسمائة تفيد أن الأمر المشار إليه ورد لغرناطة من ظاهر المهدية بعد فتح قفصة، وتذكر أن النية انصرفت إلى «اختطاط مدينة عتيقة بجبل طارق» وللجمع بين رواية ابن صاحب الصلاة والرسالة الموجودة نعتقد أنه كانت هناك رسالتان متتابعتان في معنى واحد، إحداها صدرت أواخر سنة 554، والثانية مؤكدة أوائل 555. وعلى ذكر الرسالتين نرجح أن منشئها أحد شخصين إما ابن المرخي أو القالمي فقد كانا معاً منشئين في هذه الفترة. هذا وغير صحيح أن الأمر بالبناء صدر من أحد خلفاء بني عبد المؤمن ولكنه كما نتأكد كان أولاً وثانياً من عبد المؤمن نفسه. وبهذا تكون رواية الحميري في الروض المعطار محتاجة إلى شيء من التحرير والتحقيق ليفي بروفنصال: رسائل موحدية ص 95. الحميري: الروض المعطار نشر وترجمة بروفنصال ص 121

C. F. Seybold Encyclopedie de L'Islam Tome II. Gibraltar p. 179.

(ذكر الأمر العزيز في الكتاب الكريم، الواصل بما ألهم الله تعالى به الخواطر، ونوّر له الضمائر، بناء مدينة كبرى[1] في جبل طارق ومؤرخ بالتاسع من ربيع الأول عام خمسة وخمسين وخمسمائة)

ووصل الأمر العزيز ببناء مدينة كبرى بـاكل (؟) بإذن الله تعالى ومعونته من تناصّها من المدن والقرى بالجبل الميمون القديم[2] البركة على جزيرة الأندلس السامق الشاهق[3] جبل طارق المفتتح منه دانيها وقاصيها وطائعها وعاصيها، تكون هذه المدينة منزلاً للأمر عند إجازة العساكر المنصورة ومحلاً[4] ريثما تتقدّم الرايات المظفرة والأعلام المنشورة إلى بلاد الروم [17]

(1) يظهر من النعت «كبرى» أنه كانت بالجبل مدينة سابقة لكنها لم تكن «كبرى»، وقد ذكر ابن حربي، مسجل رحلات ابن بطوطة أنه شاهد بقايا السور الذي بناه طارق وأنها كانت تحمل اسم «سور العرب» كما ذكر أيضاً أنه كان هناك «برج صغير» قبل مباني أبي الحسن المريني في الجبل وإن هذا البرج تهدم بأحجار المجانيق إلا أنه لم يذكر هل هذا «البرج» أثر عربي أو أثر موحدي، وإن كنا نميل إلى التقدير الأخير، فإن ما استهدف له الجبل من تغييرات جوهرية تجعلنا نعتقد أنه لم يبق به من آثار طارق ما يستحق الذكر وقد كان في الإمكان أن نتبين من حلية الأمر لو أن النقوش العربية التي كانت بالجبل احتفظت بهيئتها، فلقد كان هناك نقشان الأول على الباب الجنوبي للقصبة، والثاني على جدار مبنى صغير قريب من «القلعة الحرة» لكن هذه النقوش بين متعذر القراءة وبين مَلاش ضائع، وفيها ما يحمل لقب «أمير المسلمين» وفيها ما يحمل عبارة «الله العافية الباقية» رحلة ابن بطوطة ترجمة Sanguinetti Derementy المجلد الرابع ص 356 الاستقصا الجزء 3 ص 122
Norris The Early Islamic Settlement in Gibratar - (Reprmted from the journal of the Rydal Anthropological Institute vol 90 port 2 1960 page 40 45)

(2) نشير إلى أن منه كان فتح بلاد الأندلس لأول مرة من قبل طارق بن زياد

(3) يبلغ علو جبل طارق عن سطح البحر 425 متر
La Grande Encyclopédie To 18 page 919

(4) صريح جداً في الباعث الذي جعل عبد المؤمن يقدم على بناء هذه المدينة في الجبل، وقد كان الموحدون فعلاً أول من أدرك الأهمية الكبرى للجبل كموقع حربي هام للاحتفاظ ببلاد «الروم» وسط الملة بين المغرب والأندلس.

وكان في الكتاب الكريم أمر جزم إلى السيد الأجل أبي سعيد عثمان[1] ابن الخليفة أمير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ بالمشي من غرناطة بنفسه وأصحابه وحملة عسكره إلى جبل طارق المذكور والاجتماع فيه مع الطلبة الذين بإشبيلية، للالتقاء والاجتماع فيه بالشيخ الأجل أبي حفص[2] إن أمكنه[3]، وبأبي اسحق برّاز بن محمد[4]، وبالحاج يعيش[5] وبالقائد عبد الله بن خيار الجياني[6] والمشاورة معهم، والتراوض حيث يكون البناء المذكور المأمور به من الجبل وأمره في الكتاب الكريم وكذلك للسيد الأجل أبي يعقوب بإشبيلية

(1) أبو سعيد عثمان والي غرناطة أحد أبناء عبد المؤمن الثمانية عشر، من الذين انعقدت عليهم رواية ابن صاحب الصلاة، وعبد الواحد المراكشي، وابن أبي زرع

(2) هو أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي من أبرز صحابة المهدي بن تومرت، وقد خصه بقيادة كتيبة الدرقة (Adarga) وإليه يرجع الفضل في تثبيت مركز الدولة الموحدية واستقرار سلطانها، وهو بطل موقعة السبطاط سنة 568 وجدُّ الملوك الحفصيين أصحاب تونس وإفريقية، توفي عند منصرفه من فرضته في طريقه برباط الفتح من سلا سنة 571 وبها دُفن.
البيذق أخبار المهدي 32 33 ابن صاحب الصلاة 384 ابن عذاري البيان المغرب ص 101 ابن أبي زرع الأنيس ثان ص 113 الاستقصا 2 77-99-100

(3) ورد في نص الرسالة الموحدية «وقد خاطبنا الشيخ الأجل أبا حفص ـ أعزه الله ـ ليصل إلى ذلك المكان إن تمكن له» وهو يدل على المركز الذي كان ينعم به الشيخ أبو حفص حيث أنه لم يؤمر بالالتحاق بالجبل إلا إذا كان ذلك لا يزعجه بروفنصال: رسائل موحدية ص 98

(4) الشيخ أبو اسحاق هذا ورد ذكره في «الرسالة الموحدية» مرتين، وقد توفي متأثراً بعلة النقرس La goutte عام 559 بروفنصال رسائل موحدية ص 97 - 98 ابن صاحب الصلاة ص 65

(5) الحاج يعيش المالقي من ألمع وأشهر المهندسين الذين تألق نجمهم على عهد الموحدين وقد كانوا يلجأون إليه في كل المشاريع الهامة، فهو الذي صنع بأمر من عبد المؤمن بجدينة مراكش مقصورة المسجد الجامع التي حيّر وصفها سائر المهتمين بالآثار الموحدية وخاصة منهم الذين يعنون بالهندسة الميكانيكية على ذلك العهد ولقد وضعت على حركات هندسية ترفع بها عند خروج الخليفة وتخفض لدخوله وهو الذي قام سنة 567 في إشبيلية بعملية تسريب الماء لسقي البحيرة الملكية، وتوصيله إلى داخل إشبيلية من قلعة جابر، كما قام ببناء خزان للماء داخل المدينة، منه كان الماء يتوزع على مختلف أحيائها الحلل الموشية نشر الأستاذ علوش 1936 ص 119 - 120 ابن صاحب الصلاة المن بالامامة ص 323 — 324

(6) يكنى أبا محمد، ويعتبر في عداد المتأدبين، وقد كان «مشرفاً» على مدينة فاس أيام الملثمين، وكان الصحراوي واليها، لكنه ـ وقد نشب بينهما خصام ـ تآمر على الصحراوي في ليلة تعريسه بامرأة من قبيلته، ودعا للموحدين سنة 540 البيذق أخبار المهدي بن تومرت ص 146 ابن عذاري ص 19 - 20